الباب الثالث

« في ذكر آيات من القرآن مشتملة على جميع ما تقدم »

« وفيه خمسة فصول »

الفصل الاول

﴿ في قوله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً) ﴾
﴿ وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا ﴾
﴿ بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما ﴾
﴿ خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ﴾

فقالت الفتاة كفى ما عرفناه من علم الهيئة والطبيعيات ونحن الآن نحب ان نسمع منكم ما يحضركم في ذلك من كتاب الله عز وجل فانه هو النور الذي يستضاء به حتى اذا شرعت فى قراءته بتأمل اذكر ما ذكرناه فى مجالسنا هذه عند آياته . فقال ابراهيم نعم ان جميع تلك العلوم مندرجة ضمن آيات من القرآن ذكرت مجمل هذا العالم وقد عدها بعضهم خمسماية آية منها قوله عز وجل (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً) والضياء أقوى من النور فخصت الشمس بالاول

والقمر بالثاني (وقدره منازل) اي قدر عز وجل سير القمر منازل وهي ثمان وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منها منزلة ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وليلة ان كان تسعاً وعشرين .

﴿ فائدة في عموم رحمة الله تعالى ﴾

﴿ تناسب ما نحن فيه ﴾

ثم قال اعلمي ان رحمة الله عامة في جميع ملكه كما انبأعن ذلك عز وجل بقوله (ورحمتي وسعت كل شيء) ولذلك ترين جميع طبقات الناس مغمورين في نعمه فقد اغنى عما يتكاثر به المترفون والملوك من المال بكسرة :

ملك كسرى تغن عنه كسرة وعن البحر اجتزاء بالوشل

واغنى عن اواني الذهب والفضة والنحاس وغيرها باواني الخزف بل بأواني الخشب بل ربما شرب الانسان براحته مستريحاً لا يعاني شراء الا كواب ولا يتكلف الاسباب وعن ثياب الخز والحرير والديباج المرصعة بالجواهر والذهب والفضة بثياب القطن والكتان والصوف بل بجلود الحيوانات فادى كل

ذلك مقصود الحياة وارى عباده رحمته في كل شيء فضلاً منه وكرماً وهكذا جميع اطوار الحياة حتى انك ترين الاعرابي القح في الجبل ربما لم يكن له الا شاتان تحلبهما زوجته وتبيع لبنهما وسمنهما وقد كفتاه هموم الحياة واسقامها واستراح فكره من همومها واحوالها بل ان قلت انه اقل هموماً من اعظم مثرٍ في اروبا كنت وافقت المحز واصبت الغرض واغنى عن المدافع القتالة بل النيران المحرقة المميتة في زماننا هذا بسلاح من حديد بل من خشب في الازمنة الغابرة بل اغنى بعض الحيوانات باظفارها والبعض بعدوها والبعض بقوتها الى غير ذلك . فمن دلائل فضله وآثار كرمه انه لم يخص السلاح والقوة والملابس بشيء مخصوص بل اكثر منه ليعم الطبقات كلها وهو الذي اغنى جميع الحيوان بالتفاهم بطبيعتها فالفهم جبلة مركوزة في كل حيوان مع ابناء نوعه ومنه الانسان (فِطْرَةَ اللهِ التي فطرَ الناس عليها) وان لم يعانوا صرفاً ولا نحواً ولا معاني ولا بياناً ولا بديعاً ولا عروضاً ولا قوافي وهذه من أعظم الآيات قال الله تعالى (ومن آياته خلقُ السمواتِ والارضِ واختلاف ألسنتِكمْ والوانكم) ولما كان مثل هذه

الدقائق لا يفهمها الا الاقلون الذين عرفوا كثيراً من الفنون اردفه بقوله (ان في ذلك لآيات للعالمين) اذ عرفت هـذا فاجيلي نظرك في العلويات تجديه عز وجل افاض على عباده نورها ولم يحوجهم الى تجشم المشقات في استضاءتها وجعل منازل القمر التي ينزلها وتشكله بالاشكال المختلفـة واختفاءه وظهوره دلالة واضحة لعامة النـاس وخاصتهم حتى انك ترين الاعرابي القح يعرف السنين والحساب فلا تخفى عليـه آجال دينه ولا سنو تاريخه ولا غير ذلك ويكتفي برؤية الهلال اول الشهر عن تلك الجداول ومزاولة علم الفلك وعلم المناظر والرصد والتقويم له فلا يحتاج الى معرفة طول وعرض ومقام وبسط وفلك وجبر وحساب وهندسة وما يلجئه الى ذلك وقد اختصر له ربه الحساب وعلمه بلا كتاب حتى ادخله في هذا المعنى وهو انما قدرنا القمر منازل (لتعلموا عدد السنين والحساب) فهكذا جميع الكون بآثاره . فما من شيء عند الخاصة الا واغنى العامة عنه بنظيره فترين الفلاح في ارضه يعرف الظهر والعصر بقياس قدمه وبظل الشاخص ينصبه ويقسم ليله باقسام على حسب علامات تبدو له في الكواكب ليـلاً فلم يحوجهـم الى ساعة

يدير ونها فنوره ملأ الاكوان وفضله عام (ما خلق الله ذلك الا بالحق) الذي هو الحكمة التامة مظهراً دلائل توحيده بالبراهين القاطعة ولم يخلق ذلك عبثاً وباطلاً بل (يُفصّلُ الآياتِ لقومٍ يعلمون) أي يبين البراهين القاطعة لقوم يستدلون على قدرة الله تعالى ووحدانيته ثم ترتب على سير الشمس المذكورة تعاقب الليل والنهار واختلافهما بالزيادة والنقصان على حسب انتقالها في بروجها ونزولها في منازلها وطول البلاد وعرضها وان من الايام والليالي ما هو معتدل دائماً كما في خط الاستواء فان الليل والنهار متساويان هناك كل منهما اثنتا عشرة ساعة وكما في القطبين فان كلا من الليل والنهار فيهما ستة أشهر فتكون السنة هناك يوماً وليلة فقط يعرف هذا من زوال علم الهيئة وما عدا خط الاستواء والقطبين وهو ما بينهما فمختلف دائماً الا في يومين في السنة وهما اول فصل الربيع واول فصل الخريف فقد تساوى الليل والنهار فيهما في جميع اقطار المسكونة وكأن هذا يشير بطرف خفي الى ان المساواة والعدل أمر لازم لافعاله عز وجل .

(جوهرتان مصونتان)

الاولى : قد علم بما ذكرنا ان القسمة العقلية بالاثبات والنفي في الليل والنهار قد وجدت فمنها المعتدلة والمختلفة

الثانية : معلوم ان المساواة والعدل قد بني عليهما اساس الملك كما قال الله عز وجل (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط) ولكن ربما خفي هذا في الليل والنهار فربما يظن انهما غير متساويين فنقول ان اختلافهما ظاهري فقط اي باعتبار الآحاد ولو حسبنا ساعات مجموع ليالي السنة ومجموع ساعات نهارها لخرجت متساوية فهو اختلاف عند العامة مساواة عند الخاصة الذين يعرفون السنين والحساب حق المعرفة وقد تظهر المساواة للعامة في المسكونة في يومين من السنة نموذجاً يستدل به على الحقيقة وهما يوما الاعتدالين الربيعي والخريفي كما تقدم بل من نظر لاحوال نوع بني آدم هاله ما يرى من اختلاف الدرجات والرفع والخفض والغنى والفقر بحسب الظاهر ولكن قد ساوى في الحقيقة بين جميع الناس فان في الظهور قصم الظهور فاودع في كل مرتبة من المراتب آفة في جنب منفعة ونحلة بجانب شهدة

والناس جمعا عند كل كفؤه والهم مفترق وما احد خلي

فبالنظر الى الظاهر يظهر الاختلاف و بالنظر الى الباطن يعلم ان هناك مساواة بوجه ما وهذا يحتاج الى شرح طويل لا يسعه المقام بل قد ظهرت المساواة للعامة بالموت حتى ساوى بين السوقة والملك فيا للعجب كما اظهر المساواة بين الايام والليالي في يومين من السنة وفي جهة خط الاستواء والقطبين اظهرها هنا بموت النوع الانساني كله ليظهر العدل في افعاله عز وجل للعامة والخاصة وهذا أيضاً من عموم رحمته اذ عمم العلم والمعرفة ولو بنوع ما لكافة النوع الانساني و يعجبني قول بعضهم :

اذا ما رأيت الله في الكل فاعلا عقلت فصيرت القباح ملاحا
وان لم تجد الا مظاهر صنعه جهات فصيرت الملاح قباحا

ولما كان اختلاف الليل والنهار وما اشتملا عليه من العجائب الربانية التي ذكرنا وما لم نذكر أردفها بقوله (انّ في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون) ولما كانت الشمس والقمر وتعاقب الليل والنهار من اعظم الدلائل على وجود الباري جل جلاله ذكرهما

في مواضع كثيرة من كتابه منها قوله مقسما (والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها) وقوله (والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى) وقوله (الشمسُ والقمرُ بحسبان) وقوله (والشمسُ تجري لِمُستقرٍّ لها ذلك تقديرُ العزيز العليمِ والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعُرجونِ القديم) فقالت وما معنى العرجون قال هو عود الشماريخ التي فيها البلح وشبهه به من ثلاثة اوجه دقته وتقويسه واصفرار لونه ولا يتم ذلك الا اذا كان قديماً

الفصل الثانى

في تفسير آيتين وهما (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وقوله تعالى (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)

فقالت الفتاة ما معنى قوله تعالى (لا الشمسُ ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليلُ سابقُ النهار) فقال المعنى ان الله عز

وجل لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه فهما يتعاقبان بحساب معلوم فلا يجئ احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما في سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يضئ القمر بالنهار فاذا اجتمعا فذلك يوم القيامة ولذلك قال في آية اخرى (وجُمِعَ الشمسُ والقمرُ) وذلك ان هذا الملك منتظم على غاية من النظام والاحكام فالشمس والقمر والليل والنهار كل بحساب منتظم فلا يعدو احدهما حده . فاذا قامت الساعة اختل هذا النظام وفسد الاحكام وضاع الحساب كما قال تعالى (اذا الشمسُ كُوِّرت واذا النجوم انكدَرَت واذا الجبالُ سُيِّرَت واذا العِشارُ عُطِّلت واذا الوحوشُ حُشِرت واذا البحارُ سُجِّرَت واذا النفوسُ زُوِّجت) اي ان الشمس تظلم وتتساقط النجوم وتسير الجبال عن وجه الارض وتترك الابل العشار بلا راع وهي جمع عُشَرَآء وهي التي مضى عليها من حملها عشرة اشهر ولا تزال بهذا الاسم الى ان تضع لتمام سنة وتختلط الدواب والطير والوحش ويضطرم البحر ويصير ناراً وتتصدع الارضون والسموات ثم يموت المؤمنون بريح تهب عليهم ويميز الله

الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث بعضه على بعض فى جهنم ويجعل كل طيب فى الجنة وذلك لاختلاط هذا النظام الذي اشتبه فيه المحسن بالمسىء وامتزج الطيب بالخبيث اما نظام الآخرة فانه جمع الكمال بعضه على بعض والنقص كذلك ويقرن كل خليل بخليله ويذهب به الى ما هم اهله

فقالت الفتاة كاد الكلام يخرج بنا عن عجائب السموات وغرائبها والليل والنهار فما معنى قوله عز وجل (قل أرأيتم ان جعلَ اللهُ عليكم الليلَ سرمداً الى يومِ القيامةِ مَن الهٌ غيرُ الله يأتيكم بضياءٍ أفلا تسمعون قل أرأيتم ان جعلَ اللهُ عليكم النهارَ سرمداً الى يوم القيامةِ مَن الهٌ غير الله يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه افلا تُبصرون ومن رحمتهِ جعلَ لكم الليلَ والنهارَ لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضلهِ ولعلكم تشكرون)

قال ابراهيم ان اللطيف الخبير خلق النبات يتغذى من الارض والماء والهواء وهذه الثلاثة متيسرة له في أي مركز وجد فسخر له الامطار والبحار التي تستمد منها واجرى في الارض ينابيع يجري فيها الماء فالماء النازل من السماء اما ان يكون أنهاراً واما ينابيعَ في الارض فعم بفضله ذلك فاستغنى

بها النبات عن الحركة اما الحيوان فقد جعله الله عز وجل غذاء بعضه من النبات وغذاء الآخر مركباً من النبات والحيوان و بعضه من الحيوان فقط وليس يتيسر ذلك في كل مكان وعلى كل حال فسهل اللطيف الخبير له الحركة ليسعى في طلب غذائه من مواطنه ولا بد له من ضياء ليهتدي به وليأخذ النافع ويذر الضار وكل امرئ في حرفة العيش ذو عقل ولا بد للحركة من سكون وللنشاط من خمود فمن لطيف حكمته وعميم رحمته ان اعقب الضياء بالظلام والنهار بالليل لتسكن الحيوانات وتأنس بأزواجها في الخلوات ويتم لها الحبور فانظري كيف يكون حال هذه المخلوقات لو جعل الزمان كله ليلاً وكيف يتصرفون في معايشهم بل يخبطون في الظلمات ويعمهون في غياهب الدجنات واذا جعل كله نهاراً فكيف يسكنون وفي أي زمن يستريحون فمن رحمته جل جلاله ان خلق الليل لنسكن فيه والنهار لنسعى فيه

فقالت لم لهج المغنون بقولهم يا ليل فقال لان الانسان مركب من كثيف وهو الجسم وخفيف وهو الروح فمتى تحرك الجسم شغل الحواس والنفس ومتى سكن الجسم هدأت الحواس

وركدت وظهر سلطان النفس فتجتمع أفكارها ويذكر كل ما اليه يميل وغلب على طبعه فالليل انس الاصحاب ومجتمع حباب، ثم الليل مهبط الرحمات ومتنزل الملائكة فيه تجتمع الخواطر وتستدر نتائج العلوم والمنطوق والمفهوم ويستريح الحيوان من الآلام الجسمية فترى الناس عند سماعه يتواجدون والى رؤيته فرحون مستبشرون (كل حزب بما لديهم فرحون) فهذا ذكر الاحباب والاصحاب والخلان وهذا تذكر ركوعه وسجوده وتضرعه وهجوده وصلاته ودعاءه وهذا ذكر الكتب والتأليف والمطالعة والتصنيف وهذا خلد الى الراحة من آلامه واحزانه بل كل ما على الارض من حيوان فالليل له راحة لسكون اطرافه فيه فضلاً عما له من شوق وتوق الى أمر خسيس او شريف وضيع او رفيع فقالت الفتاة انا أتذكر لطيفة تناسب هذا المقام وهي ان المجوس قالوا ان للعالم الهين احدهما اله الخير ويسمى ازدان بفتح الهمزة او يزدان بفتح الياء المثناة التحتية اوله ويعبرون عنه بالنُّور ولذلك يستديمون وقود النار مشاكلة لذلك النور وعبدوها وأشار لذلك الشاعر في وصف الخمرة حيث قال:

وبت فيها أرى النار التي سجدت

لها المجوس من الابريق تسجد لي

وقال في نفسه لو كان احد ينازعني في مملكتي كيف يكون حاله معي فنشأ من تلك الفكرة الاله الثاني وهو اله الشر فابعده واقصاه وحصل بينهما التضاد و يعبر عنه بالشيطان و بالظلمة فنشأ عنه كل شر ثم ان المجوس ايضاً يسمون النجوس لانهم لا يتحاشون عن النجاسة ومانوية أيضاً نسبة لكبيرهم ماني وقد لهجت الادباء في أشعارهم بالتلميح الى مذاهبهم وابراز النكت الادبية ان كان الليل وقت الصفا واجتماع الاخلاء قال ابو الطيب :

وكم لظلام الليل عندك من يد تحدث ان المانوية تكذب

وقائك سرى الاعداء تمر بحيهم وزارك فيه ذوالبنان المخضب

يقول كذب المانوية لان ذا البنان المخضب وهي محبوبته زارته فيه ولم يعلم بها الاعداء حتى يشوا به . وقال غيره :

هدى بثناياه وضل بشعره فكدنا نقول المانوية تصدق

وهذا كاد يضل بشعره وقال الشيخ الامير :

وكم ليلة حيا الحبيب بوصله وقد سترتنا من دجاها ذوائب
ولما بدا نور الصباح اراعني فقلت له ان المجوس كواذب

وقال أيضاً :

وافى الحبيب بليلة وازال عنا كل بوس
وبدا الصباح فراعنا لاشك في كذب المجوس

الفصل الثالث

(في تفسير آيات من سورة النحل فيها عجائب السموات والارض)

فقال لها ابراهيم هل تذكرين آيات متتابعات مشتملات على عجائب الانسان والحيوان والنباتات والجبال والانهار والليل والنهار والسماء والارض والبحار والنجوم وقد كان قصد بذلك اختبارها في تفسير القرآن فتفكرت ملياً ثم قالت قال الله عز وجل مظهراً لعظيم قدرته وعجيب حكمته . بسم الله الرحمن الرحيم (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين

تُريحون وحين تسرَحون وتحملُ أثقالكم الى بلدٍ لم تكونوا بالغيه الا بشقِّ الأنفس ان ربكم لرؤوفٌ رحيم والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينةً ويخلق مالا تعلمون وعلى الله قصدُ السبيل ومنها جائرٌ ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شرابٌ ومنه شجرٌ فيه تُسيمون ينبت لكم به الزرعَ والزيتونَ والنخيلَ والاعنابَ ومن كل الثمرات ان في ذلك لآيةً لقوم يتفكرون وسخَّرَ لكم الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ والنجومُ مسخراتٌ بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذَرَأَ لكم في الارض مختلفاً ألوانهُ ان في ذلك لآية لقوم يذَّكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حِليةً تلبسونها وترى الفُلكَ مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض رواسيَ ان تَميد بكم وانهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تَعُدُّوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفورٌ رحيم) ولما اتمت هذه الآيات قراءة شرعت في الكلام على تفسيرها اجمالاً فقالت سيدي ان الله عز وجل اظهر عظيم قدرته وامتن على عباده بخلق

السموات والارض لانها اعظم مشاهد للانسان ولما كان الانسان هو اعظم نتيجة لها اردفهما بذكره وفي عجائب خلقه ابهر دليل حيث خلقه من نطفة قذره ثم صار اكثر شيء جدلاً مع ان الاليق به ان ينظر الى مبدئه ويتفكر في ملكوت السموات والارض ثم عدد عليه صنوفاً من نعمه وضروباً من آلائه فذكر ما ينتفع به من الحيوان والنبات والماء النازل من السماء النافع لهما وذكر كثيراً من انواع القسمين مما ينتفعون به وعجائب السموات ومنافع الكواكب والليل والنهار لتوقف هذه الانواع عليها وذكر البحار ومنافعها والجبال وما يهتدي به من علامات الطرق .

وبعبارة اوضح اقول ان الله ذكر في هذه الآية نعمه على عباده بخلق الحيوانات وان منها المآكل والملابس فتتخذ منها ملابس الشتاء وملابس الصيف ويتخذ منها الاعراب خيامهم وتنتفع بألبانها ثم منها ما يحملنا ويحمل امتعتنا الى الامكنة البعيدة ومع هذا كله فهي زينة يتجمل بها فيتسم اربابها بالابهة والجاه لما يرى عندهم من آثار نعم الله عز وجل وكم له من مخلوق في الارض وفي السماء لا نعلمه فعلومنا قاصرة على ما ننتفع

به فلو بحثنا عما لا نعرف لكان ذلك جوراً وظلماً وعبثاً كمسئلة الروح وحقائق الكواكب وغيرها ثم ذكر انه انزل الماء من السماء فهو لشرابنا وطهورنا وسقينا زرعنا وأنعامنا وانه ينبت به الزرع وهو الحب الذى نقتات به كالحنطة والشعير وما أشبههما وقدمه في الذكر لان به قوام أبداننا وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة وثلث بذلك النخيل لان ثمرتها غذاء وفاكهةوختم بذكر الاعناب لانها شبه النخلة في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر بقية الثمار اجمالاً . ولما كانت الاجرام العلوية لا بد منها لنمو هذه المخلوقات ولنهتدي بضوئها اعقب ما ذكر بذكر تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم فلعمر الحق ان من لم تدهشه هذه العجائب فيوقن برب البريات لأبعد عن العقل والفهم بعد ما بين المشرقين فانه في بعض هذه فضلاً عن كلها دلالات واضحات على كمال بارئها وجمال مبدعها الحكيم وقدرته وانظر رعاك الله الى الوان الزرع كيف اختلفت مع اتحاد الاضواء السماوية والماء والعناصر والهواءوالارض وماأغفلنا عما بين ايدينا وكيف جعل هذا احمر قانياً وهذا اصفر فاقعاًوهذا ازرق زاهراً وهذا

اخضر ناضراً وهذا ابيض ناصعاً وهذا اسود قاتماً (قال مؤلف هذا الكتاب قد اوضحت هذه الغرائب في كتابنا ميزان الجواهر وفى كتاب نظام العالم والامم) وكل لون منها يتنوع انواعاً شتى واشكالاً متخالفة فسبحانه وتعالى ثم هذه البحار من ادل الدلائل واعجب العجائب فقد جعل جل جلاله في الماء جزءاً عظيماً من الملح لولاه لأنتن بطول المكث ففسد الهواء. فلعمرك لم يخلق ربك شيئاً سدى ولقد ملأه بالمنافع لعباده فمنه السمك وهو انواع شتى قيل ان عجائب البحر اكثر من عجائب البر بل ان فيه السهل والجبل والعامر والغامر والرياض الناضرة والبساتين الزاهرة والرمال والصخور فكل ما في البر له نظير ما في البحر حتى انهم كشفوا في البحر الابيض وغيره حريراً يخرج من افواه الاصداف ويستخرجونه منها ويبيعونه في اسواق ايطاليا ويسمى بالبوص يشبه الحرير المعلوم ثم هدانا الى طريق استخراج ما فيه من السمك والمرجان والجواهر فالمرجان يخرج في أسفله كالمزارع في اليابسة حتى اذا استوى اخذه الغواصون وذلك كثير عند بلاد الجزائر وتونس، واللؤلؤ يستخرجونه في صدفه من مواضعه كبحر فارس وغيره

وهذه الجواهر زينة لنوع الانسان وحلية [1] له يلبسها فتبارك الله الذي سخر لنا القاصي والداني وهدى الى استخراجه واستعماله فما أبدع صنعه واجمل ابداعه ولما كان معظم سطح الكرة الارضية مغطى بالماء بعيد العمق هدانا الى صنع هذه السفن التي تمخر الماء أي تشقه حتى تحمل أنفسنا وبضائعنا من بلد الى اخرى وان بعدت الشقة كما قال في آية اخرى (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)وجعل السفن جارية اما بالهواء واما ببخار الماء المتحلل بالحرارة المعلوم في زماننا هذا . ولما كانت هذه الارض لجسم الانسان جعل فيها الجبال فكما ان الجسم له عظام تمسكه كالاعمدة جعل كذلك للارض الجبال لئلا تضطرب وكم لهذه الجبال من منافع لنافمنهاالصخور والاحجار التي نبني بهامساكننا وحصوننا وقلاعنا ولقد جعلها اللطيف الخبير مخازن للمياه وذلك ان المطر

---

(١) ذكر في مجلة الهلال انهم اخترعوا في اميركا آلة لضغط الهواء حتى يصير سائلاً وسيجعل قائماً مقام غيره وهو اقل خطراً منه واقل كلفة واقوى منه مائة مرة وهذا النبأ عظيم اه

ينزل من السماء فيسقط على قمم الجبال وينحدر الى السهول فيتخذ له سبلاً يجرى فيها ويحدث من ذلك الانهار ويجرى منه الى باطن الارض ينابيع اخرى تجرى تحت الارض فكما يرى على ظاهرها أنهار كذلك يجرى في باطنها مثلها وتمر على معادن مختلفة فتكتسب طعوماً مختلفة وذلك كمعدن الحديد والنحاس والرصاص والقصدير وغيرها ولذلك تسمى مياهاً معدنية ولها منافع عظيمة مشهورة في امراض مختلفة واليها تحفر الآبار لاستخراج مياهها ولما كان المطر ليس بدائم جعل سبحانه بعض الماء النازل على قمم الجبال ثلجاً بما يناله من البرد الشديد فيكون كالتاج لتلك الجبال ثم كلما ناله شيء من حرارة الشمس تحلل منه ماء ورشح الى باطنه فخرجت منه العيون التي تمد الانهار ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاءً ولولا هذا التدبير لانقطع جري ماء الانهر وهو خلاف صنع الله عز وجل الذي عود عباده عظيم رحمته وجزيل اكرامه .

(لطيفة) من اعجب ما ذكر في العلوم الطبيعية ان كل مائع اذا جمد صغر حجمه الا الماء فانه اذا صار ثلجاً كبر حجمه عما كان وهو سائل فانظر ماذا ترتب عليه من تقدير العزيز

العليم ترتب عليه ان المكان المملوء به يتضايق فلا تجد الاحجار المحيطة به في الجبل محيصاً من ان تتشقق بفرقعة عظيمة فتصير عيوناً صغيرة او كبيرة فتصيب الشمس بحرارتها ذلك الثلج فيسيل فهذه من حكم ذلك التقدير المحكم قال تعالى: وإنَّ من الحجارة لَمَا يتفجرُ منه الانهارُ وان منها لما يشقَّقُ فيخرجُ منه الماء وانَّ منها لَمَا يهبطُ من خشيةِ الله) فانظر كيف ابدع الله الماء على هذا النمط ودبره وخصه بهذه الخاصية حتى كبر حجمه فزق الاحجار فتفجرت منه الانهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار

(فائدة) قد ظنوا في زماننا هذا ان في مصر مجرى جعله الله عز وجل في اغوار الارض يبعد عن ظاهرها نحو اربعين او خمسين متراً يخرج من جبال القمر التي هي وراء خط الاستواء نحو ثلاث درجات وتنتهي نحو الدرجة الرابعة عشرة جنوباً ويجري في باطن الارض حيث يصب في البحر الابيض المتوسط ولقد حفروا آبار في ايامنا هذه في كثير من البلاد المشهورة بمصر فخرج ماء صافياً سائغاً للشاربين وهو

احلى من ماء النيل الظاهر واوفق منه للشرب اذ لا يشوبه قذر ولا كدورة

وكأن اللطيف الخبير جعل النيل الظاهري للزرع والنيل الباطني للشرب وماء الآبار المعروفة ليس منه وانما هو من مجارٍ في باطن الارض صغيرة كما قدمنا وماؤها اقرب الينا ولا يخرج في الغالب الا بالآلات فما اغزر نعمه تعالى فانظر كيف اكثر من الماء بحيث انه يحصل في المواضع المقفرة ويمكن استخراجه منها بالحفر بل فى البحر الملح عيون فى اعماقه السفلى وبالجملة فالارض قد جمعت بين الماء العذب والملح وهذا الثاني انواعه كثيرة ومع ذلك قد جعل بين العذب وبينه حصناً حصيناً وهو قدرة الله عز وجل فلم يبغ احدهما على الآخر ولو لا ذلك لفسد النظام ومات الانسان والحيوان فكم فى الارض من مجار متجاورة فهذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج وكثيراً ما يحفر المسافرون على شواطئ البحر الملح فتنبع مياه عذبة فتبارك الله الذي منَع بغى ذلك البحر العظيم على هذا الوشل القليل كما قال الله عز وجل في آية اخرى (مرج البحرين) العذب والملح متجاورين متلاقيين لا فصل

بين الماءين في رأي العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله (لا يبغيان) لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة واعلم ان جميع ما في العالم على هـذا النمط لا يتعدى ما رسم له كالليل والنهار والشمس والقمر فكذلك الماء وقال تعالى في آية أخرى (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات) أي شـديد العذوبة يميل الى الحلاوة (وهذا ملح اجاج) أي شديد الملوحة وقيل مر (وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً) أي ستراً ممنوعاً عن الاعين كقوله حجاباً مستوراً

الفصل الرابع

في تفسير ﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ﴾
﴿ ومالها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها ﴾
﴿ من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من ﴾
﴿السماء ماء مباركاً فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها ﴾
﴿ طلع نضيد رزقاً للعباد واحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج ﴾
وقوله تعالى ﴿ واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة اني ﴾
﴿ أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت ﴾
﴿ السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى ﴾
﴿ كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴾ الى آخر الآيات .

ومن الآيات الدالة على عجائب صنع الله عز وجل وقدرته وعظمته قوله سبحانه وتعالى :(أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها) بالكواكب (ومالها من فروج) شقوق وصدوع (والارض مددناها) بسطناها (وألقينا فيها رواسي) جبالاً ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوجٍ بهيج) أي صنف حسن كريم (تبصرةً وذكرى) أي تذكرة (لكلّ عبد منيب) راجع الى الله تعالى (ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جناتٍ) أي بساتين (وحبَّ الحصيد) أي وحب الزرع الذي من شأنه ان يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما

(والنخلَ باسقاتٍ) طوالا (لها طلعٌ) أي ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعاً قبل ان يتشقق (نضيدٌ) متراكب بعضه على بعض في اكمامه فاذا تشقق وخرج من اكمامه فليس بنضيد وجعلنا ذلك (رزقاً للعباد وأحيينا به) أي بالمطر (بَلدةً ميتاً) فانبتنا به الكلأ والعشب (كذلك الخروجُ) أي من القبور احياء بعد الموت وليتأمل الفطن الى قوله اول الآية تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقوله رزقاً للعباد فتحتها اشارات تدل على بحور علم عظيمة فليفهم الذكي . ثم شرعت في ذكر معنى الآية وفصلت تفصيلاً عجيباً ومما قالت ان نبات الارض يفهم من تنوعه اولو الالباب معاني ورموزاً ترتاح اليها أفئدة المتبصرين واما الجاهل فليس له منها الا حظ الاتان من البرسيم او الجائع من النسيم فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون فشاربون عليها سيحون وجيحون ثم انهم عن الفكر لمعزولون أولئك هم الجاهلون اقسم بنسيم الصبا والغصن اذا صبا والقطوف اذا تدلت والاطيار اذا تغنت ما لهؤلاء منها الا حظوظ لفظية وآلام معنوية وامراض وأوهام وصفع على الهام واراء ضعيفة وأفكار سخيفة وذلك بخلاف العارفين واولى

اليقين فنفوسهم شريفة وآراؤهم ظريفة واعجب من ذلك واغرب كواكب السماء وشموسها فلقد بهرت ألباب العارفين الا ترى الى سيدنا ابراهيم وما قص الله عنه في كتابه الحكيم وجعل له ثناء حسناً باقياً الى آخر الدهر قال تعالى : (واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة) وهي لا تنفع ولا تضر ولا تغني عنك شيئاً وقد علمني الله علوماً لم تعلموها وآتاني الله ما لم يؤتكم فاتبعوني (اني أراك وقومك في ضلال مبين) بين ظاهر لمن عرف وانما قرعهم بذلك لما كشف الله له عن ملكوت السموات والارض فاراه السموات حتى العرش والكرسي وما في السموات من العجائب حتى مكان الجنة وكشف له عن الارض وما فيها من العجائب حتى رأى أسفل الارضين كما قال تعالى : (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) ومن اطلع على عجائب هذا العالم شهد مبدعها عند كل عجيبة ونظر جماله لدى كل غريبة هكذا كان سيدنا ابراهيم نظر الى الابل والبقر والغنم وعلم انه لا بد لها من مدبر والاجرام العلوية أبدع ما يرى وأجمل وابهى وأبهر فان يكن في هذه العجائب المشاهدة الوهية فليكن فيها (فلما

جنَّ عليه الليل رأى كوكباً)وهو الزهرة وكان ذلك آخر الشهر فلما علم انتقالها من مكانها وهو بلا شك امارة الحدوث لا سيما وقد غابت عن الابصار (قال لا أحب الآفلين) فضلاً عن ان اتخذهم آلهة اذ لا تكون الالوهية الا لمن يحب وهذا لا احبه لنقصه بالانتقال أولا والمواراة بالحجاب ثانياً وهما امارتا نقص وحدوث والناقص لا يكمل حبه فلا اتخذه الهاً وبينما هو يتفكر في نقص الزهرة وحدوثها ونزول درجتها عنده اذ طلع القمر (فلما رأى القمر بازغاً) وهو لاشك أبهى وابهر واجمل وأكثر ضوءا (قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر) من النجم والقمر (فلما أفلت قال يا قوم اني برىء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين) وقد دلت هذه الآيات على توحيده سبحانه وتعالى ثم اردفها بعد ذلك فى الآيات بالنبوة وقررها على أحسن وجه ثم ذكر ما يدل على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى وانه مبدع الاشياء وخالقها حيث قال :

الفصل الخامس

﴿ في تفسير آية ان الله فالق الحب والنوى الى آخر الآيات ﴾

(ان الله فالقُ الحبِّ) وهو ما ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما اشبه ذلك (والنوى) جمع نواة ما كان على ضد الحب كالرطب والخوخ والمشمش وما اشبه ذلك ومعنى فالق الحب والنوى انه اذا وقعت الحبة أو النواة في الارض الرطبة ثم مرّ على ذلك قدر من الزمان اظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقاً اخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة في الهواء وعروق ضاربة في الارض فسبحان من اخرج الاشجار النامية والمزارع الخضرة من النوى والحب (يُخرج الحيَّ من الميت) كالفرخ من البيضة والانسان من النطفة (ومخرجُ الميتِ من الحي) كالبيضة من الفرخه والنطفة من الانسان وهذه اشارة الى انه قاهر لملكه لا يحكم عليه ناموس واعلم ان صور الممكنات في هذه المسئلة اربعة : اخراج الحي من الميت وهذا تقدم واخراجه من الحي كالنخلة من النخلة واخراج الميت من الحي كما تقدم واخراج الميت من

الميت كالضوء من الشمس وغيرها وكاخراج الجبال من الارض. فنص على صورتي الاختلاف لغرابتهما وان كانت جميع افعاله غرائب ولكن العامة مولعون بما ظهرت غرابته لهم (ذلكم الله) يعني ذلك الصانع لهذه الاشياء الله (فأنّى تؤفكون) اي فكيف تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذي هو خالق الاشياء وكما انه عز وجل فالق الحب والنوى فالق ظلام الليل عن الصباح فهو كاخراج الحي من الميت فلذلك قال (فالقُ الاصباحِ وجعلَ الليلَ سكناً) يسكن فيه كل ذي روح للراحة (والشمسَ والقمرَ حُسباناً) اى قدر حركتهما في الفلك بحسبان معين (ذلك) المتقدم جميعه من العلويات والسفليات (تقديرُ العزيزِ العليمِ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلماتِ البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) آدم (فمستقرٌ ومستودعٌ) اى مستقر في القبر بعد الموت ومستودع في الدنيا (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) يدققون النظر (وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء) اى كل شيء ينبت وينمو من جميع اصناف النبات (فأخرجنا منه) اى النبات (خضراً)

اى شيئا غضاً اخضر وهو ماتشعب من اصل النبات الخارج من الحبة (ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانيةٌ) اى حاصلة من طلع النخل اى كيزانه المسماة بالكفرى (قنوانٌ) جمع قنو (دانية) متدلية ثم عطف على قوله نبات كل شيء قوله (وجنات من اعناب) اى بساتين من اعناب (والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه) والمعنى والزيتون متشابهاً وغير متشابه والرمان كذلك يعني بعضه متشابه وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم ثم امر الله بنظر الاعتبار والاستدلال فقال (انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه) اى نضجه وادراكه وانه كيف خلق هذا الثمر في اول امره ضعيفاً لاينتفع به من تلك الشجرة التى لاتصلح للأكل ثم بعد ذلك انضجه وصيره غذاء

وبعد ان فرغت من هذه الآية شرعت في ذكر معناها بشرح طويل منها قولها ان الله عدد نعم الليل وانه جعل سكناً ونعم الشمس والقمر وكونهما بحسبان والنجوم والاهتداء بها فى الظلمات براً وبحراً وبديع صنعه في خلقنا فمنا من هو في عالم البرزخ ومنا من هو على ظهر الارض ثم ذكر بعض النعم على هؤلاء الذين على ظهر الارض وهي انزال الماء من السماء

واخراج النبات ليتغذى به الحيوان والانسان بان يخرج منه حباً متراكباً بعضه فوق بعض كسنابل الحنطة والشعير والقمح والارز والذرة ولم يكتف بذلك بل اخرج لنا فواكه كالنخيل الذي تطلع منه قنوان متدلية واخرج لنا بساتين من اعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه ومثلها في التشابه وعدمه كل ثمر كثمر النخل والعنب فانها مختلفة اختلافاً كثيراً فكما خلق عز وجل من الماء والتراب انواعاً كثيرة من النبات مختلفة التراكيب والطعم واللون والرائحة والقدر والمنافع خلق كذلك من النوع الواحد اصنافاً شتى (فتبارك الله احسن الخالقين) وقال تعالى في آية اخرى (الله الذي رفعَ السمواتِ بغير عمَدٍ ترَونها ثم استوى على العرش وسخرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجرى لاجل مسمًّى يدبرُ الامرَ يُفصلُ الآياتِ لعلكم بلقاءِ ربكم توقنون وهو الذي مدَّ الارض) بسطها في رأي العين (وجعلَ فيها رواسيَ) جبالاً ثوابت (وأنهاراً ومن كلّ الثمراتِ جعل فيها زوجينِ اثنين) انظر ما قدمنا في المكشفات الحديثة [1] (يُغشي الليلَ النهار) أي يلبس

(١) انظر في رسالة الزهرة في اول كتابنا نظام العالم والامم ففيها العجب العجاب

النهار ظلمة الليل (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعرفون ان لها صانعاً قادراً قاهراً (وفي الارض قطعٌ متجاورات) بقاع مختلفات مع كونها متجاورة متلاصقة (وجناتٌ من اعناب وزرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغيرُ صنوان) الصنوان جمع صنو وهي النخلات يجتمعن من أصل واحد (يسقى بماء واحد ونُفضل بعضَها على بعض في الأُكل) أي في الطعم ما بين الحلو والمر والحامض (ان في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون) ثم قالت قد ذكر العلماء ان في القرآن سبعمائة وخمسين آية فيها تفصيل هذه العجائب لم تدعْ شيئاً من هذه المخلوقات الا صرحت به أو اشارت اليه . قال ابراهيم اسمعيني من سورة الرحمن فقالت الفتاة بسم الله الرحمن الرحيم (الرحمن علم القرآن خلق الانسان) أي جنسه (علّمه البيان) النطق والفهم والافهام حتى عرف ما يقوله وما يقال له (الشمسُ والقمرُ) يجريان (بحُسبان والنجمُ والشجرُ يسجدان) النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ما له ساق والسجود الانقياد لما يراد منها (والسماءَ رفعها ووضع الميزان) قيل هو العدل (ان لا تطغوا في الميزان) أي لئلا تطغوا في الميزان وقيل ان هذه مفسرة

(وأقيموا الوزن بالقسط) أي قوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) أي لا تنقصوه امر تعالى بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو نقصان ولقد رأيت لحجة الاسلام الغزالي كلاماً حسناً في الميزان فأحببت ان اذكره قال : (الميزان) ما تعرف به حقائق الاشياء ويميز به صحيح العقيدة من فاسدها وهي الواسطة بين السماء والارض حيث قال (والسماء رفعها ووضع الميزان ان لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام) وذلك الميزان سر من اسرار الربوبية لا يعرفه الا الراسخون في العلم [1]

﴿ رياضات علمية وفكاهات أدبية من الحساب والجبر ﴾
﴿ والهندسة والفلك والطبيعة وهي عشرون سؤالاً ﴾

ثم احبَّا أن تمضي فترة من الزَّمن لا يذكران فيها الا العلوم الرياضية فسألت في خلالها الفتاةُ ابراهيم وقالت قد رأيت في كتب العلوم العربية ان فتاة من بنات العرب

(١) قال مؤلف هذا الكتاب وقد وضعت كتاب ميزان الجواهر لهذا المعنى على طاقتي وملاحظة الزمن اه

نظرت يوماً فرأت حماماً وارداً ماء قليلاً فقالت مسرعة : —
ليت هذا الحمام ليه ونصفه الى حمامتيه تمّ الحمام ميه . وكان اذ
ذاك صياد واقفاً فاصطاده جميعه فوجده عدد ٦٦ فاعجب بها العرب
وقال شاعرهم لاحد الامراء :

واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام شراع وارد الثمد
قالت الا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا ونصفه فقد
عدوا الحمام فالفوه كما نظرت ستاً وستين لم تنقص ولم تزد

فاخبرني كيف نعرف حل مثلها فقال لها نعم وامسك
الطباشير وكتب على السبّورة

$$س + \frac{س}{٢} + ١ = ١٠٠$$

$$٢ س + س + ٢ = ٢٠٠$$

$$٣ س = ١٩٨$$

$$س = ٦٦ \text{ وهو المطلوب}$$

فقالت مامعنى هذا فقال ان الفتاة نظرت الحمام فقالت
ليت هذا الحمام عندي ونصفه عليه مع الحمامة التي عندي ولم
يكن عندها سوى حمامة واحدة يكون مائة فالحمام ٦٦
ونصفه ٣٣ وحمامتها واحدة يكون تمام المائة فقالت لست عن

هذا اسأل وانما هذه مسئلة بسيطة فكيف اطلت في هذه الرموز فقال قواعد العلم تقتضيها وثمرتها تظهر في أمور أرقى من هذه (٢) فقالت اذن اسأل فقال نعم فقالت جاءت لي فتاة من صاحباتي وقالت ان ابي وأخي الاكبر وأخي الاصغر اشتركوا في جواد وثمنه مائة جنيه فكان مامع اخي الاصغر اذا اضيف اليه نصف مامع اخي الاكبر يكون تمام الثمن وهكذا اذا اخذ ما مع اخي الاكبر وثلث مامع ابي يتم الثمن واذا اخذ مامع ابي وربع مامع اخي الاصغر يتم الثمن فماعرفت مامع كل واحد منهم فامسك الطباشير وكتب على السبورة نرمز لهم س و ص وع

$$\left.\begin{array}{l} س + \frac{ص}{٢} = ١٠٠ \\ ص + \frac{ع}{٣} = ١٠٠ \\ ع + \frac{س}{٤} = ١٠٠ \end{array}\right| \left.\begin{array}{l} ٢س + ص = ٢٠٠ \\ ٣ص + ع = ٣٠٠ \\ ٤ع + س = ٤٠٠ \end{array}\right| \begin{array}{l} ص = ٢٠٠ - ٢س \\ (١) \\ (٢) \end{array}$$

$$(١)\ ٣(٢٠٠ - ٢س) + ع = ٣٠٠$$

$$(٢)\ ٤ع + س = ٤٠٠$$

$$(١)\ ٦٠٠ - ٦س + ع = ٣٠٠$$

$$(٢)\ س = ٤٠٠ - ٤ع$$

٦٠٠ − ٦ (٤٠٠ − ٤ع) + ع = ٣٠٠ (١) (٢)

٦٠٠ − ٢٤٠٠ + ٢٥ ع = ٣٠٠ (١) (٢)

٣٠٠ − ٢٤٠٠ + ٢٥ ع = ٠

٢٥ ع = ٢١٠٠

ع = $\frac{١٢٠٠}{٢٥}$ = ٨٤

ع = ٨٤

س = ٦٤

ص = ٧٢ فيكون مامع الاب ٨٤ ومامع الاخ الاكبر ٧٢ والاصغر ٦٤ فاخذت القلم وكتبت على الورقة

٦٤ + ٣٦ = ١٠٠

٧٢ + ٢٨ = ١٠٠

٨٤ + ١٦ = ١٠٠

فقال ماذا تصنعين فقالت امتحنت هذا الحساب فصح ولكن اريد ان تفيدني عن هذه الرموز فقال ان هذا علم الجبر فينبغي تعليمه واوقاتنا هذه اوقات فكاهات لا ينبغي فيها شرح العلوم فقالت ان علم الجبر فن جميل قد اشتاقت نفسي اليه فقال هذه المسئلة اسهل مسائله فقالت ان عندي

obeikandl.com

مسائل كثيرة فان احببت ان تجعل الجواب على قدر السؤال فلك الفضل فقال هات (٣) فقالت عندنا في المكتبة ثلاثة انواع من الكتب شرعية وحكمية وادبية والشرعية ضعف الحكمية والحكمية ضعف الادبية وجميع الكتب ٢٦٦ فكم عدد كل فقال الشرعية ١٥٢ والحكمية ٧٦ والادبية ٣٨ (٤) فقالت اخي الاصغر في المدرسة وسئل عن عمره فقال اذا اضيف عدد ٢٥ الى ٣ امثال عمري واذا طرح ٢٥ من (٨) امثال عمري ينتج عددان متساويان فكم عمره فقال ١٠ فقالت نعم هكذا في ورقة الميلاد (٥) فقالت عندنا ٥٠٠ جنيه اراد والدي تقسيمها بين اخوتي الاربعة بحيث اذا اضيف نصيب الاول الى الثاني كان مجموعهما ٢٨٠ جنيها والى الثالث يكون مجموعهما ٢٦٠ جنيهاً والى الرابع يكون مجموعهما ٢٢٠ جنيهاً فكم يأخذه كل واحد فقال يأخذ الاول ١٣٠ جنيهاً والثاني ١٥٠ جنيهاً والثالث ١٣٠ جنيها والرابع ٩٠ جنيهاً والمجموع ٥٠٠ جنيه فقالت ما ألذّ علم الحساب والجبر (٦) ثم قالت ما العددان اللذان اذا ضرب أحدهما في ٣ والثاني في ٤ يكون مجموع الحاصلين ٤٣ واذا ضرب الاول في ٧ والثاني في ٣ يكون

الفرق بين الحاصلين ١٤ فقال العددان ٥ و ٧ فقالت نعم ٥ × ٣ + ٤ × ٧ = ٤٣ و ٧ × ٥ = ٣٥ اذا طرح منه ٢١ يكون ١٤ فقد صح الحساب (٧) ثم قال لها كم سنك فسكتت برهة ثم قالت نصف مجموع عُمْرَيْ اختي الصغرى والكبرى فقال وما عمرهما فقالت كان عمر اختي الكبرى منذ سبع سنين مضت ٤ امثال عمر اختي الصغرى وبعد ٧ سنين تمضي في المستقبل يصير عمر الكبرى ضعف عمر الصغرى فقال اذن عمر اختك الكبرى ٣٥ سنة والصغرى ١٤ سنة وسنك ٥ ر ٢٤ سنة فقالت نعم هكذا في ورقة الميلاد فقال لعل لك علماً بالجبر فسكتت فعلم انها تريد اختباره فقط وتتجاهل (٨) ثم قالت انا واختاي الكبرى والصغرى وضعنا نقوداً في تجارة وبعد سنة صار مجموع المقادير بالارباح اربعمائة جنيه وبتوزيع هذا المبلغ علينا اخذت انا قدر اختي الصغرى مرتين وزيادة عشرين جنيهاً وأخذت أُختي الكبرى بقدر ما اخذنا معاً فقال اخذت الكبرى ٢٠٠ جنيه وانت ١٤٠ جنيها والصغرى ٦٠ جنيه وهذه مسئلة بسيطة جداً حسابها يسير (٩) فقالت كيف تقسم عدد ٥٢٥ الى قسمين لو قسم اكبرهما على

٢٥ واصغرهما على ٣٠ كان مجموع الخارجين يساوي ٢٠ فقال نعم الاكبر ٣٧٥ والاصغر ١٥٠ لان ٣٧٥ على ٢٥ = ١٥ و١٥٠ على ٣٠ = ٥ والمجموع = ٢٠ (١٠) فقالت المسافة بين محطتين ٥١٢ كيلو متراً وقام من احداهما قطر في الساعة ١١ بالافرنكي قبل الظهر قاصداً الثانية وهو يقطع ٤٠ كيلو متراً في الساعة الواحدة ثم قام من المحطة الثانية قطر آخر في الساعة الاولى بعد الظهر قاصداً الاولى وهو يقطع ٣٢ كيلو متراً في الساعة الواحدة والمقصود معرفة ساعة تلاقيهما وبُعد نقطة التلاقي عند كلتا المحطتين فقال يلتقيان بعد ٦ ساعات ونقطة التلاقي تبعد عن المحطة الاولى ٣٢٠ كيلو متراً وعن الثانية ١٩٢ كيلو متراً فقالت ارجوك توضيح الجواب فقال ٥١٢ — ٨٠ اعني ٤٣٢ = ٤٠ س + ٣٢ س و س هي رمز للزمن و ٧٢ س = ٤٣٢ فيكون س = $\frac{٤٣٢}{٧٢}$ = ٦ وهو زمن التلاقي بالساعات وبضرب ٦ في ٣٢ يحصل ١٩٢ هي ما قطعه الوابور الثاني و ٦ × ٤٠ = ٢٤٠ ويزاد ٨٠ فيكون ما قطعه الوابور الاول ٣٢٠ اهـ . ثم سألها قائلاً (١) ما مقدار محيط الكرة الارضية عند خط الاستواء بالامتار (٢) وما مقدار نصف قطر

الارض بالامتار ايضاً (٣) وما مقدار سرعة الحركة الارضية في مصر في الثانية الواحدة وما مقدارها في خط الاستواء وما مقدارها في باريس عاصمة فرنسا (٤) وقال العلماء ان دوران الارض كلما زادت سرعته نقص ثقل الاجسام عليها على حسب السرعة فكم سرعة مثل الحالية تحتاج لها الارض حتى يعدم الوزن في خط الاستواء وتبطل مقادير الموازين (٥) وهل يمكن وزن الهواء الجوي (٦) وما مقدار ارتفاعه بالامتار (٧) وهل بين ثقل الهواء والزئبق نسبة معلومة (٨) في اي درجة من درجات العرض يصير اطول نهار ٢٤ ساعة واقصر ليل معدوم بالمرة فيكون الشروق مع الغروب فقالت الفتاة عندئذ عجباً للقدرة الباهرة والصنع العجيب (٩) مقدار حجم الشمس وما مقدار نصف قطرها (١٠) وما مسافة بعدها عنا وما مقدار سرعة الضوء في الثانية الواحدة فهذه عشرة اسئلة فشرعت الفتاة تجيبه فقالت (١) اما مقدار محيط الكرة الارضية عند خط الاستواء فهو ٤٠٠٧٦٦٣٠ مترا (٢) ومقدار نصف قطر الارض ٦٣٦٦١٩٨ مترا (٣) ومقدار سرعة الحركة الارضية في خط الاستواء ٤٦٥ متراً في الثانية وفي مصر ٤١٩

وفي باريس ٣٠٥ متراً (٤) اذا صارت سرعة الارض قدر اصلها ١٧ مرة ينعدم الوزن في خط الاستواء تماما فما اقدره سبحانه على هذا الحساب العجيب الذي به دبر الأرض فدارت على هذا الوضع الذي حفظت به الموازين وغيرها ولو اسرعت عن هذا لما بقي عليها سكان البتة « إِنَّ اللهَ يمسكُ السمواتِ والأرضَ أنْ تزولاَ ولئنْ زالتا إِنْ أمسكهما مِنْ أحدٍ مِنْ بعدِه انهُ كان حليماً غفوراً * ولوْ يؤاخذاللهُ الناسَ بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ولكنْ يؤخرهمْ الى اجلٍ مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرونَ ساعة ولا يستقدمونَ » فقال لها اظنك فهمت ان الأرض تخرب بهذه الطريقة فقالت لا ولكني أظن فقال ان قيام الساعة وخراب العالم أمر مغيب عنا ولكل قوم فيه رأي والحق عندالله (راجع ميزان الجواهر تجد الموضوع مستوفي) (٥) ثقل الهواء على الارض يعادل ثقل ١٠ امتار و ٣٣٤ مليمتراً من الماء وهذا عام في جميع سطح الكرة الأرضية فكاننا في بحر من الماء يبلغ ماؤه فوقنا ماذكر فالانسان كسمك في قاع بحر يرتفع الماء فوقه بهذا المقدار أعنى زيادة عن ١٠ امتار ولو كان بدل هذا الهواء زئبق لكان

٧٦ سنتيمترا اعنى نحو $\frac{٣}{٤}$ المتر فكانت الناس تخوض فيه خوضاً ولا يغطيهم فسبحان الحكيم فى صنعه الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا وقد حسب هذا الثقل فوجد انه ٥٬٢٦٣٬٠٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ تقريباً وهذا بالطونلاته (والطونلاته عبارة عن الف كيلو جرام وهى ٢٢ قنطار و٢٢ رطلا و٣٢ درهما (اعنى ٥ كترليونات و٢٦٣ ترليوناً تقريباً ولو كان نحاساً لكان عبارة عن ٥٨٥ ألفاً كلها مكعبات من النحاس ضلع المكعب الواحد ألف مترفما اجمل العلم الذي به عرفنا مقدار الهواء نحاساً وماء وزئبقا « وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » ولله الهندسة والحساب والفلك والجبر فقد اظهرت لنا محاسن هذه الحكم البديعة العجيبة وبهذه النواميس جرى هذا الكون كله في الفضاء والمجموعة الشمسية في الكون والنجوم في مداراتها والطيور في هوائها والحيتان في بحارها وهكذا السفن (ان ربكم لرؤف رحيم) (ألم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما

نجاتهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور يا أيها الناس اتقوا ربكم) (٦) ارتفاع الهوآء بالامتار ٤٨،٠٠٠ متر على حساب العلامة بيوت وهذا المقدار تقريباً $\frac{١}{١٣٠}$ من نصف قطر الارض ٤٨،٠٠٠ اعنى ان الارض لو ادخل فيها محور من حديد وزج به حتى خرج من الجهة الاخرى فان ارتفاع الهواء فوقها يكون قدر جزء من ٦٥ من هذا المحور (٧) الزئبق أثقل من الهوآء بمقدار ١٠٤٦٠ مرة اعنى اننا اذا ملأنا زجاجة من الزئبق فثقله يعادل ثقل الهواء الذي في عشرة آلاف واربعمائة وستين زجاجة قدر تلك الزجاجه (وربك يخلق ما يشاء ويختار) ومن العجيب ان في النوع الانساني من بلغوا في اللطافة والكثافة في الاخلاق والافهام الى هذه النسبة فكم بين اعظم الانبياء واصغر الجهلاء وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام لو وزن ايمان ابي بكر بالامة لرجحها ولعمري انها لنسبة متفاوتة جداً (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) فان التفضيل في المعنويات أوسع جداً من التفضيل في المحسوسات (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) أي في الدنيا (وللآخرة

اكبرُدرجات وأكبرُ تفضيلا) فان هذا عالم الكثافة فدرجاته محصورة وذاك عالم الطف وأرق وأجمل فدرجاته أوسع واكبر فيا عجباً لهذه الحكم الباهرة الخفية الظاهرة خفية على قوم لا يعقلون وظاهرة لاولى الالباب « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارضِ ربَّنا ما خلقت هذا باطلاً » العوالم اما كثائف واما لطائف واما متوسطة بينهما فالكثائف هي التي رأيت التفضيل فيها كالزئبق والهواء والمتوسط كالظلمات والنور « الحمد لله الذي خلق السمواتِ والارضَ » هذه هي الكثائف «وجعل الظلماتِ والنورَ » هذه هي المتوسطة واما اللطائف فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين. والدرجات في الكثائف ما رأيت وفي المتوسطة ما ترى من اختلاف أنواع الانوار الى حد يفوق التصور في القلة والكثرة من ضوء مصباح ضعيف الى ضوء الشمس وبينهما درجات لا تتناهى وهي أوسع من درجات الكثائف والطف وأرق وابهج واختلاف درجات الناس في عقولهم وأميالهم أوسع من اختلاف الاضواء والانوار والظلمات » حتى قال الشهرستاني في كتاب الملل والنحل ان

كل فرد من النوع الانساني يكاد يكون نوعاً مستقلاً » وكما صعب علينا تصوره ابرزه المحيط بالعالم في قالب ضرب الامثال فقال «قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور » وسمى خاتم الانبياء شمساً رمزاً لما علمته « ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم » وللبعد العظيم بين افراد الانسان في عالم الاخلاق والعلوم ورد قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » قال ابن عباس بين العالم والجاهل سبعمائة درجة كل درجة كما بين السماء والارض وهذا من ضرب الامثال وتعبير المعقول بالمحسوس وما أرق تعبير ابن عباس وما الطفه فتأمل كيف ذكر المسافة في تقدير هذه الدرجات المذكورة بعد التفسح وتوسيع مجلس النبي صلى الله عليه وسلم او القيام وانه بالتواضع تكون رفعة الدرجات وبضدها تتميز الاشياء « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق » فالمتواضع الذي من أخلاقه توسيع المجالس والاحسان في المعاملة يرفعه علمه والمتكبر يعيش بليداً

ويموت قليل العلم لضيق نفسه وتكبرها (٨) يكون اطول نهار ٢٤ ساعة في الدائرة القطبية التي في درجة ٦٦ و٣٣ دقيقة من درجات العرض في الشمال والجنوب وحينئذ ينعدم الليل بالكلية (٩) حجم الشمس قدر حجم الارض ١٣٠٠٠٠٠ ونصف قطرها ٦٩٢٠٠٠ كيلومتر (١٠) اما بعدها عنا فهو ٣٧ مليوناً من الفراسخ والضوء يقطع في الثانية الواحدة ٧٥ الف فرسخ ثم ان ضوء الشمس حين يشرق منها لا يصل لنا الا بعد ٨ دقائق و ١٨ ثانية فلله الحكمة البالغة فما اعظم هذه البدائع وما اجمل العلوم وما ابهجها وما ألذها وما يعقلها الا العالمون « قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تُغني الآياتُ والنذُرُ عن قوم لا يُؤمنون » ومن لم يحركه العود واوتاره والربيع وازهاره فهو فاسد المزاج يحتاج الى العلاج ومن لم يحرك قلبه هذا الجمال ولم يصبُ الى هذا الكمال وهو في هذه الدنيا فلا لذة له بل هو كحمار يدور في رحاه أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون اللهم افتح بصائرنا لنرى جمال هذه المبدعات الجميلة ونتأمل هذه المحاسن الرائقة واللطائف والرقائق

على نفسه فليبك من ضاع عمره

وليس له فيها نصيب ولا سهم

حسن صنعك يا مبدع هذا الكون ولعمري ان بهجة العلماء الحكماء ولذتهم وشكرهم لخالقهم انما يكون بالاطلاع على تلك المحاسن الباهرة العجيبة التي لا تتناهي وبدونها لا ثمرة لحياة العالم ولا بهجة له قال سيدنا الامام الشافعي رضي الله عنه لو لا ساعة قبيل الفجر ما احببت الحياة وذلك لانه فيها تظهر له عجائب هذه الحكم اثر العبادة وكان الامام النووي رضي الله عنه يبيت ساهراً في التأليف والتصنيف ويقول في آخر الليل

اذا كان هذا الدمع يجري صبابة

على غير ليلى فهو دمع مضيع

ولعمري ان هؤلآء العلماء هم الذين عرفوا كيف تكون الحياة والعلماء الناظرون في الكون من هذه الوجهة العالية هم اقرب الى الانبيآء صلوات الله وسلامه عليهم وسواهم كالمقدمات لهم وبينهم درجات متفاوتة ألا ترى انه يقول انما

يخشى الله من عباده العلماء بعد ذكره انزال الماء من السماء واخراج الثمرات به وذكر اختلاف الالوان في جميع الاشياء وذلك في سورة فاطر ثم قالت ان هذا الجمال في الكون يقوم دليلا على الله ووحدانيته فقال وكيف ذلك فقالت ما رأينا جميلاً الا وهناك ارقى منه كما انه فوق كل ذي علم عليم فان قلنا الحسن في اوروبا فقد ظهر ان فاطمة التونسية حازت وسام الحسن والشرف في معرض باريس وكانت النظرة لها بعشر فرنكات كما ذكره استاذنا العلامة الشيخ حمزة فتح الله في بعض مؤلفاته ثم لعل هناك ماهو اجمل واحسن وابهى فالليالى حبالى يلدن كل عجيبة فاجمل كل جميل هو الله وحده كما انه اعلم كل عليم وكما انه احسب كل حاسب وهو اسرع الحاسبين فالجمال من مميزات مبدع هذا الجمال وحيرتنا في ذوي الجمال دليل وحدانية من له كل حسن وجمال فلم نجد احداً في العالم ذكر ان اجمل المخلوقات فلان الا بنسبة تقريبية وغاية ما في قول عشاق يوسف (ما هذا بشراً ان هذا الا ملكٌ كريم) انهن شبهنه بالملائكة فى جمالهم وقد قطعن ايدهن فما بالك لو رأين

الملائكة الذين ألحقن يوسف بهم من باب التشبيه البليغ المحصور واذا حار عشاق الجمال وتاهوا فيمن هو الارقى ولكل شيء نهاية فاذن الى ربك المنتهى

﴿ معجزات القرآن وعجائبه في المكشفات الحديثة ﴾

ولما اجابت الفتاة جمال على ماتقدم من المسائل الحسابية الفلكية الطبيعية اعجب ابراهيم ما ادمجت فيها من الحكم الكونية واللطايف العملية فاثنى عليها وقال لها لقد اعجبني ما سمعت من اعجابك بالقرآن والسنة والعلوم العقلية والفلسفية ومطابقتك بينها مطابقة تسر المسامع وتقر الاعين وتشرح الصدور واني ليسرني ان تذكري ما تعلمينه من معجزات القرآن المكشفة حديثاً في العلوم الجديدة فان الحق انه يتجدد اعجازه الى آخر الزمان واذا كانت المدنية كلها الآن ترقت فاين حظ القران منها ولا جرم ان تجدد الاعجاز من لوازم قوله تعالى : (انا نحنُ نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فقالت الفتاة

ان القرآن والسنة يتجدد اعجازهما كلما تمادى الزمن والذي اعلمه من ذلك :

(١) قوله تعالى « ويخلقُ ما لا تعلمون » بعد قوله تعالى « والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوُها وزينة » اذ لم يقل ويخلق ما لا تعلمون في القرآن كله الا بعد ذكر ما يركبْ ففي الآية وحدها اشارة الى ماسيحدثه في المستقبل من مدهشات ما يركب ويسير بالرسائل من البخار والكهرباء والسفن الحربية والطائرات والتلغراف بلا سلك او به وكل هذه اما حاملة رسالة أو وقراً وهي تختص بالدواب عادة وقال أيضاً « وآيةٌ لهمْ أنا حملنا ذُريتهم في الفلك المشحون وَخلقنا لهم من مثله ما يركبون »

(٢) « ألم تر الى ربك كيف مدَّ الظلَّ ولو شاء لجعله ساكناً » وقد سكن الظل بواسطة الفوتغرافية (آخذة الصور)

(٣) الموار بة في ذكر « وكل في فلك يسبحون » بعد ذكر الشمس والقمر والأرض وجعلها بعد الشمس والقمر وذلك لاجماع الامم على حركتهما واما الارض فقد ذكرت

قبلها ايناساً لمن يعتقد سكونها لوجود الفصل بالشمس والقمر ولمن يعتقد دورانها بدخولها في يسجون

(٤) ذكر السفن في قوله تعالى « وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفُلْكِ المشحُون » بعد الكواكب والأرض اشارة الى ان الجميع من واد واحد فالسفن في البحر كالشمس والقمر والارض في الاثير وهي المادة المالئة للفضاء وكأن الكواكب كلها والارض سفن في بحر الاثير « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين »

(٥) (اقتربت الساعة وانشق القمر) (اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها) اشارة الى ماقيل ان القمر انفصل من الارض فنقصت وانشق هو منها

(٦) (اولم يرَ الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما) قالوا ان الشمس والارض كانتا شيئاً واحداً فانفصلتا

(٧) مادة العالم الاثير وهو مالئ للكون لم يعرف الا بالعقل لدقته عن الحواس (ثم استوى الى السماء وهى دخان)

(٨) (ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشرٌ

تنتشرون) كشف ان حواس الانسان واعضاءه كلها تراب صار نباتاً وحيواناً ودخل في الجسم فصار هو نفس الانسان

(٩) « بل هم في لبس من خلق جديد » قد كشف ان جسم الانسان يتجدد في كل مدة نحو شهر فتذهب مادته ويؤتى بدلها بالمواد النباتية والحيوانية والمعدنية فتصير بشراً سوياً منتشراً « ثم اذا انتم بشرٌ تنتشرون »

(١٠) « حُرّمت عليكم الميتةُ والدم ولحمُ الخنزير » قد كشف ان الخنزير منشأ الدودة(١)

(١١) كراهة اكل لحم بعض البقر لانه منشأ السل

(١٢) وجوب غسل أثر الكلب سبعاً فقد كشف انه سم ومثله الهر كما في بعض أحاديث الجامع الصغير

(١٣) المستنقعات منشأ المكروبات القتالة للانسان وقوله عليه الصلاة والسلام لا يبولنّ أحدكم في الماء

وفي الخنزير ديدان لا تؤثر فيها الحرارة في درجة من درجاتها ولقد اخبرني حضرة استاذنا العلامة الشيخ حمزة فتح الله عن دولة الغازي مختار باشا ان جماعة ماتوا بعد ان أكلوا فبحث الاطباء عن سبب موتهم فاذاهم أكلوا لحم الخنزير فأماتهم مكروباته وهو بلامين من هذه القاعدة وفي مقدمة ميزان الجواهر فوائد في هذا أيضاً

الدائم ولا يغتسل فيه فبالأول يزيد ضرره وبالثاني يصيب المغتسل الضرر بالمكروب

(١٤) ورد في السنة ان الطاعون من وخز الجن وقد ظهر انه حقاً من الحيوانات المكروبية التي هي قسم من أقسام الجن في الحديث الذي في كتابنا ميزان الجواهر نقلاً عن الاحياء حيث قال فيه وصنف كالهوام

(١٥) الامر بكثرة الاغتسال والوضوء وهذا أعظم داع لعدم الدعاوي وامتلاء السجون كما قاله العلامة بنتام الانجليزي مشرعهم الشهير الذي درس قوانين الامم كلها وقال من واظب على اغسال الدين الاسلامي لم يصدر منه ذنب ولا جريمة فالنظافة من محاسنه كما استحسن أيضاً منع الخمر منعاً باتاً في جميع الكرة الارضية وعده من محاسن هذا الدين واليه الاشارة قوله تعالى « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين »

(١٦) ظهور الازدواج في جميع النبات « ومن كلّ الثمراتِ جعلَ فيها زَوْجَين اثنين » « وأنبتنا فيها من كل زوجٍ بهيج »

(١٧) « وأرسلنا الرياح لواقح »قد علم مما قدمناه ان الريح هي الملقحة لاكثر النبات

(١٨) ظهور الجدري في اصحاب الفيل بالمكروب الذي دل عليه قوله تعالى « وأرسلَ عليهم طيراً ابابيل » أي متتابعة مجتمعة « ترميهم بحجارَة من سجيلٍ » أي من الطين الذي يتماسك على سطح المستنقعات

(١٩) ظهر ان كل شيء له مقدار محدود بالتحليل الكيماوي (وكلُّ شيءٍ عنده بمقدار)

(٢٠) (ويوم يُنفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض إلا من شاءَ اللهُ وكلٌّ أتَوْه داخرين وترى الجبال تحسبها جامِدة وهي تمُرُّ مرَّ السحاب صُنْعَ اللهِ الذي اتقن كلَّ شيءٍ) معلوم مما قدمنا في المجالس السابقة والمذاكرات ان علماء الهيئة قسمان المتقدمون وهم يوافقون ما يظهر للنظر العام من ثبوت الارض ودوران الشمس والمتأخرون وتخالف

(تنبيه) يعلم اخواني ان بعض ما ذكر في هذه المحاورة على سبيل الاحتمال اوالمجاراة فمن وجد شيئاً غير ما ذكر فلا يظنني احتمه ولايحمله على اني اجوزه فقط لا انه مذهب لي فمن طعن بعد ذلك فليس له عذر

هيئتهم ما يعرفه العامة فيحكمون بدوران الارض حول الشمس وهذا المقام قد أوضحناه سابقاً بما لا مزيد عليه وقدمنا ان هذه كلها دائرة على الظن وان رأينا ان الثاني أقرب الى الظن من الاول وان القرآن لم ينزل لتحقيق مثل هذه المسائل لانه جاء لما هو اجل من هذا اذ هذه الاشياء اقرب شبهاً الى الصنائع وقلنا ان اشكالها على نوع الانسان دعا الى نمو الافكار فهو المقصود اذ هو فى عالم التربية ثم نقول الآن العجب كل العجب من وضع الآية التي نحن بصددها وضعاً متقناً على حسب ما قدمنا وبيانه ان قوله ويوم ينفخ في الصور الى قوله داخرين أي صاغرين مسوقة ليوم القيامة ثم قوله بعدها وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب حملها العلماء على يوم القيامة يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة ولشدة عظمتها ترى كأنها واقفة ولا ريب ان هذا التفسير يناسب من علقت في ذهنه الهيئة القديمة من ايام نقل الفلسفة اليونانية الى الآن فناسب ما قبل الآية وصدرها اول الامة واذا نظر الى قوله بعدها صنع الله الذي اتقن كل شيء نجد ان خراب الارض ينافي الاتقان وانما الاتقان يناسب سير الارض وجبالها ثم يراها الانسان

مع شدة حركتها ساكنة لا تتحرك فهذا هو الاتقان العجيب وانما لم يقل وترى الارض لانها على هذا الرأي لا ترى إلا متحركة مع خروج الانسان بالمرة عنها وهذا مستحيل في الدنيا اما الجبال فرؤيتها ممكنة ثم انظر كيف تسير الارض بتلك الحركة العجيبة حول نفسها وحول الشمس ونحن نراها ساكنة لم يحس أحد بحركتها من آدم الى الآن فهذا هو الاتقان وهذه هي الحكمة وهذا هو الوضع العجيب الذي جمع بين الحركة والسكون ففيه تنبيه على ان العالم كله في حركة مستمرة مع انه يرى في سكون بل الانسان يرى ساكناً مع انه لا يقف فكره لحظة لا في اليقظة ولا في المنام اذ قوته المخيلة لا تقف حركتها لحظة ولا تقف الا بالموت وهكذا الامة في حركة مستمرة اما الى صعود واما الى هبوط واما الى استمرار فالصعود باختراع الجديد والهبوط بهدم سور المدنية الحقة والاستمرار في الامور الدنيوية على ما عودهم الآباء بلا فكر جديد، فالعالَم كالعالِم وكالانسان والامة كل في حركة مستمرة ويرى في الظاهر كأنه ساكن دائم السكون ولم نذكر هذا على انه تفسير للآية ولكن لمناسبة العالم بعضه بعضاً وانما نحن في ذكر

الجبال وانها على الارض وترى انها ساكنة مع انها على الهيئة الجديدة سائرة دائماً معها وهذا هو غاية الاتقان ويحق لنا ان نقول (صنع الله الذي اتقن كل شيء) بعد ما ذكر هذا ما خطر ببالي الآن

واني لأعجب جداً من هذا الوضع المتقن في الآيات وكيف ناسب صدرها صدر هذه الأُمة وعجزها متأخريها اي العصريين المعاصرين للأوروباويين فلم تصادم الآية مذهب السابقين واشارت لمذهب المتأخرين [1] ولعمري هذه هي

---

(١) فيكون ملخص المعنى سيقوم من فى السموات ومن فى الارض فزعين الا من شاء الله وهم جميعاً صاغرون ولا ريب ان السموات والارض اكبر ممن فيهما واليه الرمز بقوله (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس) واذا كانت السموات والارض اطاعتا حتى قال فيهما (قالتا اتينا طائعين) فكيف لا يأتيه كل من فيهما صاغرين اذلاء

أو لا يرون ان الارض التي هم عليها وما فوقها من الجبال منقادة له مسخرة فى هذه الحياة الدنيا لا يمكنها الاستقرار لحظة من الزمان فترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب فاذا كانت الارض التي خلقها اعظم من خلقكم أنتم فى الحياة الدنيا خاضعة له مع جبالها وانتم عليها فكيف بكم انتم وحدكم فلا بد من اتيانكم صاغرين يوم القيامة اطرق كرا ان النعام فى القرى اه

الحكمة العجيبة جعل نظام كلامه كنظام ملكه فما اتقن الفعل وما احسن القول سياستان متشابهتان ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور وعندى ان هذا وامثاله هو الاعجاز والحكم لا التأكيد بان ولا الجناس والطباق ولا غيرهما الا فليتق الله العلماء وليبينوا للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ومن عجيب الاتقان نفس هذه الآية فكفى باتقانها واحكامها برهاناً ساطعاً ومعجزة لمن درس العلوم وذاق لذة المعارف ولعمرى لا يعقل هذا الا العالمون فتأمل كيف تاسب مراعاة مذهب المتقدمين سابق الكلام ومذهب المتأخرين لاحقه وكيف ثم كيف قال بعد اربع آيات فى آخر السورة (وقل الحمدلله سيريكم آياته فتعرفونها) (٢١) علم ان ان الارض متزنة بالجبال ولولاها لاضطربت فى سيرها (وألقى فى الارض رواسي أن تميد بكم) (٢٢) قوله تعالى حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون والحديث الذي رواه البخارى بسنده عن ام حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب ابنة جحش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوماً فزعاً يقول لا اله الا الله ويلٌ للعرب من شر قد اقترب

فُتح اليوم من ردم يأجوجَ ومأجوجَ مثل هذه وحلق بأصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب ابنة جحش فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث اه

فقد اتسعت حلقة فتح الردم بعده عليه الصلاه والسلام وكان ما كان مما ذكر مفصلا في كتابنا نظام العالم والامم فقال ابراهيم ان هذا المقام يستحق التوضيح ولا يكفيه الاجمال فاني رأيت كثيراً من العقلاء واهل الدين يحجمون عن التكلم فيه فقالت ان هذه المسئلة اعظم معجزة ومجلسنا هذا لايسع ذكر ماعلمناه من تعيين زمان خروجهم وفتح السد مصداقاً لهذا الحديث وجغرافية بلادهم وحدودها وتاريخهم وصفاتهم وما ذكره المؤرخون فيهم من العرب والافرنج ومكاتبات الملوك في شأنهم وآراء كبراء العلماء وظهور معجزات للنبوة اثناء الكلام فيهم وحقيقة كون اولهم بالشام وآخرهم بخراسان وكونهم لايدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس وهذان واردان في الحديث ايضاً وكالحديث الوارد في رئيسهم كل هذا اظهره التكشيف وكمعنى قوله تعالى من كل حدب ينسلون وكيف ظهر في الخارج وكيف اقترب الوعد الحق وما هذه

الدعوى التي يهرف بها الجهلة من العجز والكسل بسبب ظنهم قرب الساعة وقيامها عليهم وهل يفندها القرآن اوهم بفهمه جاهلون فهذه خمسة عشر سؤالاً لايمكن ايضاحها الان فأن اردت استيفائها فعليك بنظام العالم والامم [1] (٢٣) قوله تعالى ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ومعلوم في الاصول ان الذين اسم عام لايخص من نزلت الآية بسببهم وظهر في كل زمان لاسيما هذا الزمان ان كثيراً منهم يدخلون بسرعة في الاسلام بخلاف اليهود باجماع فلاسفة الامتين وفي امريكا العجب العجاب وكذلك في اوروبا وسيأتي الزمان المستقبل باعجب من هذا في الاعجاز وقال تعالى لعيسى وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة الآية (٢٤)

---

(١) هو كتاب لنا سيطبع ان شاء الله قريباً وهذا الموضوع مستوفي فيه وقد ظهر فيه ولله الحمد ما كان خافياً احقاباً طويلة في هذه المسئلة واتضحت فيه معجزات للنبوة لم تعلم الا به واول من فتح لنا هذا الباب استاذنا العلامة الشيخ حمزه فتح الله وهو يلقي علينا الدرس بمدرسة دار العلوم ونبهنا لهذا الحديث وقد كتبت مقالة أدرجت في مجلة الهلال جواب سؤال وارد من أحد أدباء الهند عن هؤلاء الامم واين هم مع ذكرهم في الكتب السماوية فاقرأ هذا كله فى كتاب نظام العالم والامم اه

تشتت اليهود في اقطار العالم وعذبهم الفرنساويون في الجزائر وغيرها وطردهم الروس وهم مبغضون في كل دوله (واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب (٢٥)ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما أُتيتم من العلم الا قليلاً قد اجمع علماء اليونان والعرب واوروبا ان علم النفس إنما يكون بعد الرياضات والطبيعات وهاك آخر ماوصل اليه البحث الى وقتنا هذا من ترتيب العلوم بحيث ان المتأخر لايفهم الا بعد المتقدم(١) العلوم الرياضية (٢) العلوم الفلكية (٣) العلوم الطبيعية (٤)علم الكميا (٥) علم وظايف الاعضاء (٦) علم النفس والمنطق (٧) علم الاقتصاد السياسي (٨) علم تكوين الشعوب (٩) علم تمييز الجمال(١٠)علم ماوراء الطبيعة ويدخله العقائد ومعرفة الخالق والروح واما علم النفس فانما هو ظواهرها لا حقيقتها (١١) علم الاخلاق (١٢) علم الحقوق (١٣) العلوم السياسية

فانت ايها الاخ ترى من هذا الجدول ان علم الروح في المرتبة العاشرة مع العلم الالهي المعبرعنه بما وراء الطبيعة او الفسلفة الاولى او العلم الاعلى والمخاطب بهذا هم يهود جزيرة

العرب ولا ريب انهم ابعد الناس عن هذه العلوم فلا يمكنهم فهم الرياضات العليا فضلا عن الروح فلذلك قال (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) اى ولا يفهم الروح الا من درس علوماً كثيرة وما اعجب قوله من امر ربي اذ علم الروح وعلم الالوهية في الدرجة العاشرة (٢٦) قال عليه الصلاة والسلام صنفان من امتي في النار لم أرهما قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات الخ فقد ظهرت تلك السياط بعد النبوة بازمان وهو الكرباج (٢٧) ورد ان الذباب فيه داء وقد ظهر هذا بالتكشيف (٢٨) قال تعالى (ولهنَّ مثلُ الذي عليهنَّ بالمعروفِ وللرجالِ عليهنَّ درجة واللهُ عزيزٌ حكيم) قد قارن علماء اروبا بين النساء المتعلمات وبينهن حين لم يتعلمن فاستنتجوا ان المراة كلما قدمها التعليم لتلحق الرجل اخرتها الحكمة الالهية في القوة والادراك والجسم فصارت على الثلث منه في مجموع قواها فكلما قدمهن التعليم اخرتهن الحكمة على مقدار ذلك لتبقى درجة الزيادة محفوظة بين الرجال والنساء والا لاختل النظام بتساوي الدرجتين ولذلك قال بعدها والله عزيز أى غالب حكيم فيما

صنع . اقرأ المرأة المسلمة لصديقنا الفاضل محمد افندي فريد وجدي فقد ذكر هـذا وانه قامت قيامة فلاسفتهـم الآن ينذرون قومهم الخطر (٢٩) ان الفونجراف المصرية داخل في عموم(قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء) (٣٠) قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية) اما آيات الآفاق فهى جميع ما كشف في العلوم الجديدة في الارض والسماء بعد ان كانت منحصرة في كواكب معدودة من السيارات وهي ٧ مع جهل الثوابت وعناصر محدودة مع تكشيف الكواكب السيارة وعرف كثير من الثوابت وهكذا العناصر بعد ان كانت ٤ وصلت الآن الى نحو ٧٠

واما آيات الانفس فان للانسان جسماً وروحاً اما الجسم فاظهرته اشعة رنتجن التي هي عبارة عن اضواء شرر الكهرباء المنحصرة في آلات تسلط على الجسم فتكشف الاعضاء من الداخل وتظهر الدورة الدموية من وراء الحجب كأن هـذه اجسام شفافة لاتحجب ماوراءها مما يدهش العقل ويحار فيه فكر اللبيب مصداقاً لقوله في هذه الآية وفي انفسهم. ومعلوم

ان في ظرفية اي الآيات المظروفة في نفوس النوع البشري والمراد بها هنا ما يشمل الجسم

واما الروح فقد ظهرت عجائبها بالتنويم المغناطيسي الذي تناقلته الافرنج عن الهنود

فلما سمع ابراهيم ما قالت الفتاة اعجبه بداهتها وحسن فهمها ولكنه لاحظ ان بعض هذه التفاسير جاء على سبيل الاحتمال او المجاراة فسألها عن ذلك فقالت نعم . ثم قال لها ياسيدتي عفواً عني فيما كلفتك به من النصب والتعب في هذه الاسئلة فاني كثير الشغف جداً بالنظر في هذين الامرين وهما هذا الكون المؤلف من العناصر وهذه المعاني المؤداة بالحروف التي بها نسمع القرآن الكريم وغيره من الكتب

ومن شدة ولوعي بالغرائب احنُّ كثيراً واطرب للملاءمة بينهما واتفاقهما وسيرهما بسنن واحد لعلمي ان الانسان بهذا الشوق يصل الى الحكمة العالية والعلوم الغريبة ولا يزال يترقى ما كرَّ الجديدان وما تعاقب الملوان فقالت احب ان اسمع منك مقالاً شافياً في عجائب العناصر والحروف فقال :

الكون عبارة عن وضع عجيب وترتيب حكيم ادهشنا

صنعه و بهرنا وضعه وعجبنا كل العجب من اتقانه وحسن بنيانه نجوم لامعة وشموس ساطعة و بدور طالعة وسماء واسعة وهواء وسحاب ونبات وماء أتدرين كيف كان أصله ؟ أصله مادة اثيرية لا ترى ولا تحس ولا تشم ولا تذاق ولا تلمس عرفها فحول العلماء المتأخرين مع اشارة المتقدمين فتكونت وتطورت بتداول السنين وكرورها ومرورها ملايين و بلايين فانظري أيتها الفتاة ما ترين فيها من جمال وبهاء وحسن وحكم بالغة (وتمت كلمة ربك) ويا للعجب كيف انقسمت الى اشكال متباينة وصور متعددة واحوال متباينة ثم سكت برهة وظهر عليه أثر العجب ففطنت الفتاة الى ان العجب ادهشه فانتظرت رجوعه للكلام ولم تنطق ببنت شفة ثم قال لقد اخذني الآن الدهش والبهر من النظر في هذه الكائنات

واذا كان اصلها هذا الجسم البسيط وهو الاثير الذي أشير اليه بقوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم) اشارة الى ان هذه

المادة وهي الاثير تنوعت وتطورت وتشكلت بصور مختلفة حتى وصلت الى سموات وارض وماء ونبات وحيوان وانسان واجسام مظلمة وأخرى مضيئة وعالم لطيف وآخر كثيف فلو نظرنا الى الاغذية والملابس كالقمح والقطن لرأينا المواد الداخلة في كليهما واحدة ولكن العجب كل العجب في ان اختلاف المقادير في تلك العناصر كالجير والبوتاسا والسليكا جعل هذا غذاء وهذا ملبساً وما أحسن العلم وما ألذ الفهم الذي أرانا ان ملابسنا واغذيتنا من عناصر واحدة اختلفت مقاديرها فاختلفت المنافع والاغرب من هذا انها جارية على نظام محدود وقسطاس مستقيم وفي الارض نحو مئات الوف من النبات كلها تجتذب اليها العناصر من الارض وباختلاف المقادير اختلفت الطعوم والروائح والالوان والمقادير والاشكال والاغذية والملابس والادوية (ان ربك هو الخلاق العليم) فلننظر ما الذي انتجت هذه العوالم من الحسن والجمال وما منتهاها من الحسن والاحسان رأينا منتهاها الانسان فكان تركيبه اجمل تركيب ووضعه أحسن الاوضاع يا عجباً له خلق النفس الخارج والداخل من الرئتين ليصلح الجسم بادخال النافع

واخراج الضار وكان وضع جسمه جامعاً لجميع تلك الاوضاع في المواد من العلويات والسفليات ولما خفي ذلك على العامة وكثير من الخاصة فتراهم يقولون كيف يتصور أن يكون وضع الانسان وتركيبه ومحاسنه اتقن واجمل من جميع هذا العالم وهؤلاء معذورون لضعف افهامهم فجعل له الصوت المنوع بالحروف فعبر عما في ضميره من العلوم والمعارف بل عن جميع ما في العالم من الصور والاشكال والمعانى واللطائف والرقائق والمحاسن فياليت شعري كيف يعبر هذا الصوت الواحد عن جميع هذه الاشكال ويتنوع كما تنوعت وهو واحد ولكن لاعجب في ذلك فانه ناتج عن حكمة بالغة وقدرة وعلم ولقد حكى صوت الانسان المادة الاثيرية واشبهها ألا ترين رعاك الله وافهمك الحكمة ان المادة الاثيرية تنوعت الى عناصر كثيرة كما ذكرناه فهكذا الصوت وهو واحد تنوع الى حروف مختلفة بمروره بين آلات المضغ من الاسنان واللسان وحوافظ الفم (ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار) ويا للعجب ما للعقول منصرفة وما للابصار منحرفة وما للاسماع لا تعي أفمن هذا الحديث يعجب الجاهلون ولا يتفكرون ولا ينظرون فما

لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون ومالعامة لا يتعلمون ومالعلماء لا يفصحون وما للناس ساهين لاهين وما للشرقيين عن التذكرة معرضين هذا الفم وآلاته خلق لاساغة الطعام فما لنا نراه يتصرف في الهواء فجعل منه حروفاً كما فتت الغذاء وقطعه حتى ينزل الى المعدة مهضوماً فكان الفم يفصل الاجسام والمعاني والكثائف واللطائف وياليت شعري ما للامة اعرضت عن هذه الحكم وازورّت

فالصوت الناشئ من الزفير فصل الى حروف قد تكون ٢٩ حرفاً كاللغة العربية وقد تكون ٢٥ واكثر واقل وكم نشأ من هذا الصوت الواحد حروف ولغات حتى قدرها بعضهم باربع آلاف لغة على ان اللغات لا يمكن حصرها اذ يمكن ايجاد ما لا يتناهى منها على حسب اختلاف الاوضاع

انما المدهش المطرب العجيب الغريب ان الانسان الذي هو نهاية الابداع في العناصر كيف عبر بهذا الصوت الواحد بآلاف من اللغات عن جميع ما في العالم وقدر على ايجادها في الهواء اللطيف بتموجات لطيفة تدخل الى الصماخين فتنقل هذا العالم كله من عقل الى عقل ورسولها الامين هو الهواء

اللطيف المتداخل فيه اشعة الكواكب المناسب كل المناسبة لعقولنا وارواحنا العجيبة الغريبة ومن فهم هذا عرف قوله تعالى (الرحمنُ علّمَ القرآنَ خلق الانسان) الذي هو نهاية الابداع الذي عبر عن كل مبدع بهذا الصوت العجيب المتنوع كما تنوعت المادة الاصلية فلذلك اعقبه بقوله علمه البيان فمن جهل كيف كان منشأ العالم من العناصر فلينظر منشأ العلوم كلها من الصوت بتنوع حروفه وانني لفي عجب جداً من هذه الحقائق ولا يسع المقام تفصيله فكفى ما ذكرت الآن وفي كتابنا نظام العالم والامم ما هو أوسع من هذا وأرق وألطف في هذا الموضوع . فقالت الفتاة يفهم من هذا انكم تفضلون الحروف على العناصر مع ان العناصر هي الاصل وكيف يفضل الفرع على الاصل فقال :

(وكم أب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عدنان)

الخاتمة

في اجتماع الخليلين

ثم ان الفتاة لما أبدت العجب العجاب في العلوم والمعارف انبهر ابراهيم من افصاحها وسرّ من حسن القائها وعرف انها على علم عظيم فخطبها اعلاناً من ابيها وجرى بينهما العقد في مجلس حافل من العلماء والاعيان واكابر اصبهان وبنى بها وتم الانس لهما وأنشد :

انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتنا ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا

فحصل بينهما الاتحاد وامتزجا كالماء والراح والجسد والروح فكانهما غصنا بان ورضيعا لبان وسليلاً وفاء وقد انشد :

مرضى من مريضة الاجفان عللاني بذكرها عللاني
هفت الورق في الرياض وناحتا شجو هذا الحمام مما شجاني
بابي طفلة لعوب تهادى من بنات الخدور بين الغواني
طلعت في العيان شمساً فلما افلت اشرقت بافق جناني
يا طلولا برامة دارسات كم حوت من كواعب وحسان

بابي ثم بي غزال ربيب ... يرتعي بين اضلعي في امان
ما عليه من نارها فهو نور ... هكذا النور مخمد النيران
يا خليليّ عرجا بعناني ... لارى رسم دارها بعياني
فاذا ما بلغتما الدار حطا ... وبها صاحبي فلتبكياني
وقفا بي على الطلول قليلا ... نتباكى او ابك مما دهاني
الهوى راشقي بغير سهام ... الهوى قاتلي بغير سنان
عرفاني اذا بكيت لديها ... تسعداني على البكا تسعداني
واذكرا لي حديث هندولبنى ... وسليمى وزينب وعنان
ثم زيدا من حاجر وزرود ... خبرًا عن مراتع الغزلان
واندباني بشعر قيس ولبنى ... وبمي والمبتلي غيلان
طال شوقي لطفلة ذات نثر ... ونظام ومنبر وبيان
من بنات الكبار في دار فرس ... في جمال البلاد في اصبهان
هل رأيتم يا سادتي او سمعتم ... ان ضدين قط يجتمعان
لو ترانا يا صاحبي نتعاطى ... اكؤس الهوى بغير بنان
والهوى بيننا يسوق حديثاً ... طيباً مطرباً بغير لسان
لرأيتم ما يذهب العقل فيه ... ابن مصر والفرس مجتمعان
كذب الشاعر الذي قال قبلي ... وباحجار عقله قد رماني

ايها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماني[1]

وقد تم بحمد الله ما قصدته من كتاب جواهر العلوم وقد اتبعت فيه خطة الترقي من الاسهل الى السهل وجعلته سلماً الى فهم ماهو ادق وارقى في الفكر وهو ميزان الجواهر وجمعته مستقلاً على حدته[2] وذكرت فيه بواطن العوالم وقواها وعجائبها الباطنة مع المقارنة بين آراء الفلاسفة الاقدمين ومقابلته بكلام الفلاسفة الاوروبيين ووزن اقوالهما بالحجج العقلية فهاك ايها الاخ فقد جمعت لك في هذا الكتاب من دقائق الكون وبدائع العالم ولطائفه رغبة استجلائك نفائس عرائسه فهاك جليساً يناجيك في خلواتك ويزيدك جمالاً كلما استجليت فيه النظر واعدت فيه كرة الفكر فلم اعرج على القوانين العلمية العويصة بل جنيت الزهر من الاغصان والثمر من البستان فهما فرغت من حاجاتك فاجلس على اريكتك

---

(١) هذه القصيدة من كلام الشيخ محي الدين ابن العربي مع بعض تغيير يسير اه (٢) ومن حسن الحظ انه طبع قبل هذا كما اشرنا اليه في الصحيفة الاولى من هذا الكتاب

وحادثه تجده سميرًا لا يمل حديثه ونديمًا لا يسأم جليسه فضلاً عن كونه مخ العبادة واجلها بل فتح باب هذا الفكر هوالمقصود من حياتك ومطمح نظر الانبياء والحكماء واكابر العلماء وقد قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة هداني الله واياك الى طريق السعادة هذا وانى اضرع الى الله تعالى ان ينفع بهذا الكتاب وان يجعله خالصاً لوجهه الكريم وان يسقينا شراب الانس في كأس الصفا مع أحبابه الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وأن يعمم نشره في ظل مولانا امير المؤمنين السلطان ﴿ محمد رشاد خان ﴾ واميرنا المحبوب افندينا ﴿ عباس باشا حلمي الثاني ﴾ ادام الله طلعته وأيد شوكته وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تم بعون الله ﴾

التقريظ

سبحان الله ، يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤتَ الحكمة فقد أُوتيَ خيرًا كثيرًا ، وما يَذَّكر إلا أولوالالباب، وله الحمد : حمداً يكافئ عظمته ونعمته ، والشكر : شكراً عامًّا وفق طاقة الشاكر ، لانه لا يكلف نفساً الا وُسعها ، فان الشكر له نعمة منه تحتاج لشكر ، والهامه الشكر نعمة كذلك ، وهذا لا يتناهى ، وما قدروا الله حق قدره ، وعلى نبيه محمد خير من أوتيَ الحكمة وفصل الخطاب وجوامع الكلم والنطق بالضاد : أتم صلاة وسلام ، كما انه اشرف نبي ورسول ، جزاه الله عن أمته أفضل ما جازى به نبياً عن أمته ، بشَّرَ وانذر وهدى الى سواء الصراط ، وعلى آله وأصحابه الناشرين في الآفاق آثاره

اما بعد : — فيا جامع جواهر العلوم والآداب ، ما ذا عليك لو اتخذت سناء الشمس رداء ، وتاج البدر حذاء ، وماذا عليك لو دهشت النهي دفعة واحدة بما في خزائن علمك من نفائس الجواهر ، لكنما أنت حكيم ، والحكيم

يضع الشيء في موضعه ، ينجم العلوم ، على حسب الازمنة والفهوم ،

وما تصنع بالسيف اذا لم تك قتّالا

هذه طريقة الله في كتابه ، وطريقة محمد في أصحابه ، هذه هي الطريقة المثلى ، هذه هي الطريقة المؤثرة في العالم ، كأنما اتصل بك شعاع من شمس النبوة فانت تنفذه الى غيرك ، تنفذه لتكون قد أديت واجباً ، تنفذه لتخرج من ربقة الكتمان ، لا بل أنت تذيعه لتنفع ، بل ليس في امكانك عدم الاذاعة ، لانك مفطور على ان يدبرك غيرك ، شيء وضعه الله في بعض عباده ، أوضعه عبثاً ، معاذ الله ، وضعه لحكمة مرادة ، فان لم تدفعه دفعه ، ولا يمنع من ذلك هبته لك نوع اختيار ، وكفاك شرفاً رضاه بكونك مهبطاً لهذا الخير الجلل ، كالبحر او السيل يفيض فيستقى منه بلا كد ، وسواك يعدون له الرشاء والدلاء والراحلة ، لو ان في أمثالك ولو من يعد على الاصابع ، لضارع حينك أحياناً كان الشرف فيها لا رسطو واضرابه ، لكن أزعم ان لا يلبث زمانك قليلاً الا وقد وجد فيه من يستضيء بنبراسك ، ويهتدي بهديك ، فيدب فيه

روح الشعور والحركة فينفع وتكمل المضارعة ، — فلا غرو اذا تلقيت كلماتك كما تلقى آدم الكلمات ،

(حبذاهن من لبانة قلبي وجديد الشباب من سربالي)

صدرت من عارف يدري ما يقول ، من عارف له قدرة على البيان ، انكشفت لي معانيها الكثيرة في مبانيها القليلة ، والقليل عزيز ، فقلت كما قال الشاعر :

تسعة آلاف الف الف خلالها جوهر خطير
بجانب الكرخ عند قوم أنت بما عندهم خبير

رأيتك تتنقل فيها بين معان مقصودة كشفت عنها الغطاء ، وما ادراك ما الغطاء ، هو السدُّ الذي نظيره في آية وجعلنا من بين ايديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ، ألا أيهذا المستطلع كشف عنك غطاؤك فبصرك اليوم حديد ، ان كنت فيما مضى ممن يقول بالكواكب والريح فقل اليوم :

آمنت بالله الذي يفعل الا أشياء لا الكوكب والريح
ما تملك الانجم دفعاً ولا نفعاً ولا ضراً ولا الريح

او كنت تنتظر من هواء غزر مادةً واوسع بياناً فرويدك :

(في طلعة الشمس مايغنيك عن زحل)

خذوا ما اتاكم به واغنموا فان الغنيمة في العاجل

رأيت صاحب الكتاب في اضرابه ، فقلت كما قال الشاعر :

رأيت ابا النضر في مذحج بمنزلة الفجر حين اتضح

ورأيت عبارته فقلت كقوله :

نطقت بن عمرو فسهلتها ولم ينطق الناس امثالها

وكيف أقيم الحجة عليه وقد قال الشاعر :

وليس بصحيح في الافهام شيء

اذا احتاج النهار الى دليل

فلك الثناء ايها المؤلف على ما اسديت من النعمة على الالباب ، اربة ارتقبت قليلاً ثم جاءت واثرت :

آية ماتكن فقد يرجع الغا ئب يوماً ويوقظ الوسنان

تحريراً في يوم الثلاثاء ٩ من رجب الحرام سنة ١٣١٩

حسين والي

الشافعي الازهري